

الكتاب الثالث: "عن الحرية والجنون والإبداع" (الحلقة السابعة)



نشرة "الإنسان" 2019/10/19

السنة الثانية عشرة - العدد: 4431

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

yehiatrakhawy@hotmail.com

.....

عن الجسد والجسم

(1) الجسد: عائق أم مجال؟

يجرنا الحديث عن الحرية من منطلق حركية البيولوجي وورثة المرونة إلى الحديث عن الجسد وعلاقته

بالفكر. نحن نقدم الجسد هنا بمفهومين متداخلين، لا ينفصلان (ليس كما حاولت الفلسفة الوجودية أن تفعل)، فمن ناحية: هو الجسد الفيزيائي الذي يشغل حيزا حقيقيا في الوجود، وهذا ما نفضل أن نقصر لفظ الجسد عليه، ومن ناحية أخرى هو **الحضور الحركي المتجسد للوعي** سواء لبس الجسد الفيزيائي أم لا، وهذا ما نميل إلى تسميته الجسم. (2) والعلاقة بين الاثنين وثيقة، فالمفروض طبيعيا ألا يكون ثم فرق بين هذا وذاك، إلا أن ظروف ما آل إليه تطور الإنسان، قد جعلته يتنازل جزئيا عن فاعلية النشاط الحركي الفعلي كلغة أساسية وحضور ضروري لتعميق الوجود، مما أدى إلى تنويعات من الانفصال جعلت الوعي الحركي المتعين (الجسم) يحل محل الجسد العياني في بعض الأحيان، دون أن يلغيه، غالبا.

من هذا المنطلق يمكن أن ننتبه إلى أن مشاركة الجسد (الفيزيقي) في حركية الحرية تعتمد على مدى مطابقته للجسم (الوعي المتعين في الجسد)، فإن كانت المطابقة كاملة - نظريا - فإن ما يسرى على الجسد يسرى على الجسم، إلا أن واقع الحال يشير إلى ان المطابقة دائما نسبية، وهي -المطابقة- تزيد في حالة الإبداع وتقل في حالة العادية، أما في حالة الجنون فهي تختلف بحسب نوع الجنون ومرحلته، فقد ينفصلان تماما وهذا أقرب إلى ما أسماه ه. لانج (3) النفس المنتزعة من جسدها (4) "، وقد يظهر في صورة بعض الأعراض التي تشمل تشويه أو تقطيع الجسد مع أو بدون إحساس بالألم، كما قد تشمل بعض أنواع الانتحار.

على النقيض من ذلك فإنه قد يلتحم الجسد (الفيزيقي) بالجسم (الوعي المتعين) Concretized)
Consciousness بتطابق فجائي وحاسم دون تمهيد أو إبداع أو استيعاب، بما يترتب عليه نقلة زائفة تلغى أحدهما من أول إنكار الجسد الفيزيقي (ضلالات العدمية الجسدية) حتى ضلالات التسامي والسمو بالجسد بعد احتوائه إنكارا (في بعض حالات الهوس مثلا).

في تناولنا لمسألة الموت (مما سنرجع إليه تفصيلا في موقع آخر) يمكن الاكتفاء بالإشارة هنا إلى أن اختفاء الجسد أعضاء وخلايا قد يصحبه اختفاء الجسم وعيا متعينا، إذا لم يكن صاحبهما قد تحرك حرا مبدعا متجادلا مع الوعي الكوني بدرجة كافية (مساحة الحالة الإبداعية)، أما إذا كانت حالة العادية هي الغالبة فقد يكون اختفاء الجسد نذيرا باختفاء الجسم معه كله أو باستثناء بقايا متناثرة تمثل نشازا عابرا أو

نحن نقدم الجسد هنا بمفهومين متداخلين، لا ينفصلان (ليس كما حاولت الفلسفة الوجودية أن تفعل)

هو الجسد الفيزيائي الذي يشغل حيزا حقيقيا في الوجود، وهذا ما نفضل أن نقصر لفظ الجسد عليه

من ناحية أخرى هو الحضور الحركي المتجسد للوعي سواء لبس الجسد الفيزيائي أم لا، وهذا ما نميل إلى تسميته الجسم

المفروض طبيعيا ألا يكون ثم فرق بين هذا وذاك، إلا أن ظروفه ما آل إليه تطور الإنسان، قد جعلته يتنازل جزئيا عن فاعلية النشاط الحركي الفعلي كلغة أساسية وحضور ضروري لتعميق الوجود

أن مشاركة الجسد (الفيزيقي)

دائماً في علاقتها بهارمونية الوعى الكونى (إلى وجه الله).

أن تناول مسألة الحرية من خلال هذا المنظور لكل من الجسد والجسم يتجلى بشكل متنوع بقدر درجة التطابق، والمرونة، والحركية، مساحة ممارسة حالات الإبداع والجنون والعادية، وتناوبها مع بعضهما البعض.

من هنا يمكن القول إن الجسد اللحم الدم، - من حيث المبدأ - ليس مجرد حامل للرأس المحتوى على المخ، المسئول عن الفكر، لكنه جزء لا يتجزأ من حركية الوجود، وأداة أساسية في فعل المعرفة. إن المعلومات، وخاصة المعلومات الأساسية الموروثة أو المبصومة (5) لا تتواجد في الدنا DNA الخاص فقط بخلايا المخ، وإنما هي تغوص أيضا في خلايا الجسد، وبالتالي يمكن أن يمثل هذا الجسد (العيانى/الحسي/الحركي/اللحم/الدم) سجنا لحركية الفكر (ضد الحرية)، كما يمكن أن يكون هو الوسط المرن الذى يسمح بازدهار خصوصية حركية الفكر (6)، مساهما فعلا في ذلك.

لقد عايشت هذه القضية من خلال مصادر عملية (خبرانية) (Experiential) أثناء ما أسميته معايشة الجنون مع مرضاى: وذلك أثناء تعة الضلال وتفكيكه وخاصة في حالات البارانويا المزمنة وتحت المزمرة (7) وحالات اضطرابات الشخصية، وإلى درجة أقل نجاحا، حالات الوسواس القهرى (8) وذلك باستعمال علاج التنشيط الجسدى (بالعدو أساسا والرقص إلى درجة أقل) وأثناء علاج الحرمان من النوم. ولقد لاحظنا أن البدء بتفكيك الوضع الجسدى من خلال التنشيط غير الراتب، وغير المكرر، وغير المألوف، لو أنه تم في صحبة "آخر" حقيقى ومتحرك (معالج/معالجين من نوعية خاصة، يمارسون نفس الفعل الجسدى) فإنه قد يؤدي إلى تفكيك في الضلال الثابت في حالة البارانويا كما يصاحبه تفكيك في المنظومة المفهومية الغائرة والمعوقة في حالة اضطراب الشخصية.

أما في علاج الحرمان من النوم (9) فقد لاحظنا أن كسر نمطية الإيقاع اليوماوى

(اليوماوى/السركادى circadian) بالسهر المتصل ليلا ونهارا عدة أيام إلى أسبوع فأكثر، كل ذلك إنما يكسر دوائر الإيقاعية الحيوية المنغلقة على نفسها، وبالتالي تنكسر المنظومات الفكرية المنغرسه فيها - في الجسد- بما يترتب عليه درجة مقابلة من التنشيط، فاستعادة تناول البسط الملء الفعال الذى يساعد على كسر جمود الضلال فاستكمال التأهيل.

وقد خرجنا من كل هذا بطرح فرض يقول:

إن "المفهوم الثابت" و"الضلال الغائر" ينغرسان في الجسد (الجسم) جنبا إلى جنب مع

انغراسهما في أكثر من موقع ومساحة من خلايا المخ

وبما أن خلايا المخ ليست دائما في متناول التحريك النشط المباشر (اللهم إلا بالمذيبات للنفس psychodelics من المهلوسات، مثلا (10) فقد كانت الوسيلة للتعرف على علاقة الجسد بالفكر هي التعامل مع الجسد مباشرة كمدخل إلى الكلمة والمفهوم. وقد واجهنا صعوبات من الزملاء في تقبل هذه الفروض والعمل من خلالها أكثر مما واجهنا صعوبات من المرضى، لكن مع التدرج والمثابرة استطعنا أن نحقق جانبا من هذه الفروض مما يمكننا من تطبيق نتائجها على هذه الفرضية الجديدة الخاصة بالحرية، ومن ذلك:

1- إن المفهوم الفكرى الثابت حتى الجمود (فالإعاقه) هو منغرس في الجسد كله بقدر ثباته في خلايا المخ.

2- إن الحركة المنتظمة في دورات النوم/الحلم/اليقظة قادرة على تعة هذا المفهوم الجامد أثناء النوم، ومن منطلق خلايا المخ أساسا والجسد تال لذلك، لكن جمود الجسد وقبضته قد تكون قادرة - في الحالات المتجمدة - على الأمر المباشر بعودة الأمور إلى غوصها وثباتها، وذلك فور اليقظة مباشرة (كما كنت!)، الأمر الذى يظهر فيمن ينكر أنه يحلم أصلا، أو ينسى أحلامه تماما فور استيقاظه (علما بأن النشاط الحالم يستغرق ربع ساعات النوم على الأقل، كما ذكرنا في الفصل الأول).

3- إن التعة في ذاتها ليست هي الغاية العلاجية، ولكن إمكانية تناول نتائجها هو المنطقة التي

في حركية الحرية تعتمد على مدى مطابقتها للجسم (الوعى المتعين في الجسد)

إن كانت المطابقة كاملة - نظريا - فإن ما يسرى على الجسد يسرى على الجسم، إلا أن واقع الحال يشير إلى أن المطابقة دائما نسبية

المطابقة- تزيد في حالة الإبداع وتقل في حالة العادية، أما في حالة الجنون فهي تختلف بحسب نوع الجنون ومرحلته، فقد ينطلق تماما وهذا أقرب إلى ما أسماه هـ لانج (3) "النفس المنتزعة من جسدها

على النقيض من ذلك فإنه قد يلتحم الجسد (الفيزيقي) بالجسم (الوعى المتعين) Concretized Consciousness بتطابق فجائى وحاسم دون تمهيد أو إبداع أو استيعاب

أن اختفاء الجسد أعضاء وخلايا قد يصعبه اختفاء الجسم وعيا متعيذا، إذا لم يكن صاحبهما قد تحرك حراً مبدعاً متجادلا مع الوعى الكونى بدرجة كافية (مساحة الحالة الإبداعية)

أما إذا كانت حالة العادية هي الغالبة فقد يكون اختفاء

الجسد نخبيرا باختفاء الجسم معه
كله أو باستثناء بقايا متناثرة
تمثل نفازا

أن تناول مسألة الحرية من خلال
هذا المنظور لجل من الجسد
والجسم يتجلى بشكل متنوع
بقدر درجة التطابق، والمرونة،
والحركية، مساحة ممارسة الحالتين
الإبداع والجنون والعادية،
وتناوبا مع بعضهما البعض.

يمكن أن يمثل هذا
الجسد (العياني/ الحسي/ الحر
كي/ اللحم/ الدم) سبنا
لحركية الفكر (ضد الحرية)،
كما يمكن أن يكون هو
الوسط المرن الذي يسمع
بازدهار خصوبة حركية الفكر
(6)، مساهما فعلا في ذلك

أما في علاج الحرمان من النوم
(9) فقد لاحظنا أن كسر
نمطية الإيقاع اليوماوي
(اليوماوي/ السرطادي
circadian) بالسهر المتصل
ليلا ونهارا مدة أيام إلى
أسبوع فأكثر، كل ذلك إنما
يكسر دوائر الإيقاعية الحيوية
المنغلقة على نفسها

إن "المفهوم الثابت"
و"الخلل الغائر" ينخرسان في
الجسد (الجسم) جنباً إلى جنب
مع انخراسهما في أكثر من
موقع ومساحة من خلايا المخ"
إن المفهوم الفكري الثابت

يتحرك فيها المعالج والمريض بقدر من الوعي (والحرية) بما يتناسب مع التناول الحالي لقضية الحرية
"معا"، وذلك من خلال استعادة المرونة والتشيط، ومن ثم إمكانية التأهيل وإعادة التشكيل.
4- إنه كلما كان التحريك غير منتظم وغير مألوف (مثل الهرولة في الجرى دون الجرى التنافسي،
ودون الجرى الراتب) كانت تتعده المنظومات الثابتة أكثر احتمالا ووعودا.

بنفس القدر فإن كسر انتظام دورات النوم/ اليقظة الليلنهاريه (اليوماوية)، يترتب عليه مثل هذه التعتة
(كما ذكرنا في علاج الحرمان من النوم).

لن أمل من توضيح الخط المحتمل الناشئ من استعمال هذه اللغة الخاصة، فإذا كان للكلمة "جسم"
يُمكن لو أنها حملت معناها فعلا، فهي أيضا يمكن أن تتغرس في جسد من لحم ودم، وهذا الاختلاف
عن المفهوم الوجودي هو ما أعنيه تماما من احترام الخلايا والجسد العياني، دون إعطائها استقلالاً أو
أسبقية، وفي نفس الوقت احترام "الكلمة" جسما ووعيا، وليست مجرد رمز أو تجريد، دون أن تتفصل عن
الجسد، وأخيرا احترام الوصلة النشطة والكامنة بينهما، أي بين الكلمة والجسد⁽¹¹⁾.

ونكمل الأسبوع القادم

- [1] هذا هو الكتاب الثالث باسم "عن الحرية والجنون
والإبداع" نشرت صورته الأولى في مجلة فصول- المجلد السادس -
العدد الرابع 1986 ص(58/30) وقد تم تحديثها دون مساس
بجوهرها، وهو الفصل الثالث من كتاب "حركية الوجود وتجليات
الإبداع" الصادر من المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، والكتاب
يوجد في طبعته الأولى 2007 وهذه هي الطبعة الثانية بعد أن قُسم
إلى أربع كتب أضيف إليها ما جد للكاتب بين الطبعتين، وهذا
الكتاب هو الثالث.

- [2] استعملت هذه التسمية الفارقة قبل أن أطلع على ما
يقاربها في الفكر الوجودي: (فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية
، حبيب الشاروني الطبعة الثانية 1974 القاهرة- مكتبة
الأنجلو)، وقد طمأنني ذلك رغم عدم التطابق، ذلك لأنني -على
خلاف الفكر الوجودي- ربطت بين الكيانين (الجسم/ الجسد) برباط
نشط أو كامن يمكن أن يتنشط، رباط بيولوجي وتجريدي في آن
(المتن) ومن المهم أن أؤكد أن بداياتي وعودتي هي إلى الجسد
العياني أساسا. هذا وقد أكد تيسير شيخ الأرض على دور الجسد
مستعملا كلمة "البدن" بشكل أساسي وجوهري وجامع، وذلك في
فلسفته "الأجدوانية" التي لم تأخذ حقها أبدا. (دراسات
فلسفية. محاولة ثورة في الفلسفة - دار الأنوار. بيروت 1973).
- [3] النفس المنقسمة 1950 D.H. Lrang Folit Self

Disembodied self - [4]

- [5] ظاهرة البصم imprinting هي الظاهرة التي اهتم
بدراستها علماء الحيوان لدراسة السلوك الجاهز الذي يطلق من
الكائن حديث الولادة ، واعتبروا ذلك نوعا من التعلم الغائر،
وقد طورت هذه الظاهرة في ممارستي الإكلينيكية، لأرصد الظاهرة
في الأوقات الحرجة وهي تتم، وليس وهي تطلق، وخاصة في العلاج
المكثف النشط، وأوقات النمو الحرجة ، وبالنسبة لسلوك ذي
الدالة التطورية.

in Freedman A. & Kaplan H. (1967) ، Hess H.H. : Ethology
Comprehensive Text Book of Psychiatry] Williams & Wilkins
Company P 180-188

ثم: يحيى الرخاوي: (دليل الطالب الذكي في: علم النفس
انطلاقا من: قصر العيني) - (ص 132) الطبعة الأولى (1980)
الطبعة الثانية (2018) - القاهرة.

- [6] كتبت هذه الأطروحة قبل أن يصلني - منذ ثلاث سنوات -
كتاب بعنوان Philosophy in the Flesh Lakkof : a challenge
"to western thinking والفلسفة منخرسة في الجسد: تحديات في
مواجهة الفكر الغربي. وقد اطلعت على الكتاب ووجدت أنه يتفق
مع الخبرة المطروحة في هذا الفصل في هذا الموضوع من حيث
المبدأ، وكدت أضيف منه ما تيسر إلا أنني وجدت أن أوجل ذلك
لبحث أكثر تركيزا على الجسد كوسيلة للمعرفة، وليس فقط كما هو

حتى الجمود (فالإعاقاة) هو
منغرس في الجسد كله بقدر
ثباته في خلايا المخ.

إن الحركة المنتظمة في
دورات النوم/العلم/اليقظة
فأدرة على تعتقة هذا
المفهوم الجامد أثناء النوم،
ومن منطلق خلايا المخ أساسا
والجسد تال لذلك

إذا كان للكلمة "جسْم"
يُمْسِكُ لو أنها حملت معناها
فَعَلًا، فهي أيضا يمكن أن
تَنغرس في جسد من لحم ودم

احترام "الكلمة" جسما ووعيا،
وليس مجرد رمز أو تجريد،
دون أن تنفصل عن الجسد،
وأخيرا احترام الوصلة النشطة
والكامنة بينهما، أي بين
الكلمة والجسد

الحال هنا: مجالا لحركية الحرية.
- [7] حالات البارانويا المزمنة، وتحت المزمنة هي حالات
تتصف بوجود اعتقاد وهمي خاطئ (أسميه ضللا والشائع أن اسمه
هذا وقد رفضت هذه التسمية وبينت أسباب ذلك في موقعه) وهذا
الاعتقاد الثابت يكون من الثبات والعمق والتسلسل بحيث يصعب أو
يستحيل تعنته وتغييره بالاقناع والشرح، وأحيانا أيضا لا
بالعقاقير وجلسات تنظيم إيقاع الدماغ في الأحوال العادية.
كذلك الحال في حالات اضطراب الشخصية من النوع النمطي لها نفس
التركيب، وإن كان ما يسمى ضللا يكون مختلفا بعيدا عن ظاهر
الشعور في حالة اضطراب الشخصية.
- [8] حالات الوسواس القهري تتصف -تركيبيا- بصفات حالات
البارانويا من حيث صلابة المعتقد وخطئه وتماسك الشخصية، إلا
أنها تختلف من حيث بصيرة المريض بهذا الخطأ، ومحاولاته
المتكررة للتخلص منه وتصحيحه دون جدوي.
- [9] ثمة خبرات طويلة في هذا الشأن لم ينشرمنها إلا أقلها
أنظر مثلا:

Y.T. ،Y. and Rakhawy، R. Amin، Mahfouz، E. ، Hamdi
(1982) Sleep Deprivation Therapy: A Part of an Integrated
Plan in a Special "Milieu". Egyptian Journal of Psychiatry
- [10] الخبرة التي قدمتها لنا عقاقير الهلوسة مثل الـ
LSD (برغم قصر عمرها، وهشاشة نتائجها) تستحق أن ترتبط بهذا
المنطلق الحالي للربط بين البيولوجي و الجسد و بين الجسم
والوعي جميعا، وهي خبرة تعاطى عقاقير تعوق حركية التوصيل بين
خلايا المخ، فيتربط عليها حالة من الهلوسة، نتيجة لتفكك
الجواز بين خلايا المخ، وبالتالي استقبال كل منها للآخر وما
يتبع ذلك من خلط وإسقاط وغير ذلك، ومن ناحية أخرى فقد أظهرت
هذه التجارب بعض لمحات إشارات= الإبداع المجهضة، وأهمية هذه
الملاحظات أن المخ، والجسد، والجسم/الوعي، والمنظومات
الفكرية تمثل أربع مناطق منظمة ومتماسكة وواحدية، وفي نفس
الوقت يتصل كل منها بالآخر وكأنه صورة للآخر لكن بلغته
الخاصة، فإذا تعنت تنظيم من هذه التنظيمات كيميائيا، أو
مرضيا، أو علاجيا، سُمع عند الآخر، وتتوقف إيجابية أو سلبية
النتائج على جرعة التعنت، والجو المحيط والتأهيل اللاحق بما
يحتاج إلى تفصيل آخر.
- [11] عايشت كل ذلك وسجلته قبل تعرفي على المعطيات الأحدث
للعلم المعرفي، ودور الجسد في التفكير، مما قد يحتاج إلى
عودة كما ذكرت.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD191019.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

*** **

الكتاب السنوي 2019 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعتهما الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من الضج... 61 عاما من التواصل "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

(رابط الكتاب)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>